

عتبات النص النقدي؛ قراءة في كتاب العادات القولية في الشعر النبطي بالإمارات المجدي بن ظاهر، سعيد بن عتيق الهاملي، فتاة العرب، صالح بن عزيز المنصوري.

الملخص: جرت العادة أن دراسة العتبات النصية لصيقة بالنص الإبداعي بالدرجة الأولى، إلا أن الأنظار بدأت تتوجه مؤخرًا إلى دراسة العتبات النصية في النصوص النقدية من باب ممارسة نقد النقد، حيث يتتبع الدارس العتبات انطلاقًا من غلاف النص النقدي بدءًا بالعنوان فالإهداء فالمقدمة، مع ضرورة التعرّيج على مؤلفات الكاتب إن وجدت، مرورًا بقائمة المصادر والمراجع وانتهاءً بالإشهار أو كلمة الناشر.

وهذا ما سأحاول تطبيقه إجمالًا على كتاب الباحث عياش يحياوي الخاص بدراسة الشعر النبطي بالإمارات؛ من باب تقديم الكتاب للقراء والتعريف به.

الكلمات المفتاحية: العتبات النصية، النص النقدي، عياش يحياوي.

المداخلة تندرج ضمن المحور الثالث قراءة في الأعمال الأدبية والصحفية للإعلامي عياش يحياوي:

يقصد عادة بالعتبات النصية أو النصوص الموازية أو النصوص المحيطة ما تتضمنه الأعمال الأدبية من جوانب أخرى غير نصوصها الرئيسية وقد عرفها الباحث يوسف الإدريسي بقوله " عتبات النص بنيات لغوية وأيقونية تتقدم المتون وتعقبها لتنتج خطابات واصفة تعرف بمضامينها وأشكالها وأجناسها وتقعن القراء باقتنائها ومن أبرز مشمولاتها: اسم المؤلف، والعنوان والأيقونة ودار النشر، والإهداء والمقتبسة والمقدمة.....وهي بحكم موقعها الاستهلاكي-الموازي للنص والملازم لمتنه- تحكمها بنيات ووظائف مغايرة له تركيبيا وأسلوبيا ومتفاعلة معه دلاليا وإيحائيا فتلوح بمعناه دون أن تفصح عنه ،وتظل مرتبطة به ارتباطا وثيقا على الرغم من التباعد الظاهري الذي قد يبدو بينهما أحيانا" يوسف الإدريسي، عتبات النص في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر، الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، ط2015، 1، ص21.

أولا الأيقونة: هي عنوان بصري يتشكل من صور فوتوغرافية أو رسوم تجسدية أو تجريدية تكون الغاية منها ترجمة عنوان الكتاب إلى تشكلات لونية وخطية وتلخيص مقصدية متنه واختزال فكرته العامة وهي قابلة للتغيير حسب طبعات الكتاب على عكس العنوان الذي يتميز بالثبات رغم تغير طبعات الكتاب.

وقد جاء غلاف الكتاب المعني بالدراسة في صورة باب خشبي عتيق بلون بني داكن يعلوه جرس حديدي على عادة الأبواب القديمة، وكأنه يرمز به إلى أن النص المدروس في هذا الكتاب هو نص تراثي ، أما أسفل الباب فمتآكل جاء بلون أبيض كتب عليه اسم صاحب الكتاب وهو عياش يحياوي، ولو عدنا لدلالة اللون الأبيض في النصوص الشعرية كما أورده الناقد عبد المالك مرتاض في تحليله السيميائي للخطاب الشعري بأنه "يتلازم مع النور الذي ينتشر أثناء الظلام إلى أقصى الحدود الممكنة من أجل تبديد وإفساح الحيز ليسهل انتشاره" عبد المالك مرتاض التحليل السيميائي للخطاب الشعري، ص28. وكأن هذه الصورة تلمح إلى أن الباحث عياش يحياوي يروم من هذا العمل طرق باب نص تراثي وإخراجه من العتمة إلى النور ، وربما هذه الفرضية يؤكدتها ما جاء في مقدمة الكتاب من قول يحياوي "إن الهدف من دراسة التراث المعنوي، ومنه الشعر الشعبي هو البحث فيه عن قيمة قادرة على التعايش مع راهننا، والإضافة إليه، ولا يمكن الوصول إلى هذه القيمة من دون دخول النص الشعري النبطي القديم مختبرات مناهج النقد الحديث" عياش يحياوي، العادات القولية ، ص5.

ثانيا العنوان: يتشكل عنوان الكتاب الذي نتناوله بالدراسة من جملتين اسميتين هما: العادات القولية في الشعر النبطي بالإمارات، وهي بمثابة عنوان رئيسي؛ يتلوه عنوان فرعي يحمل أسماء الشعراء الأربعة الذين انتقاهم الباحث يحياوي ليخضع دواوينهم للدراسة، وهم الماجدي بن ظاهر- سعيد بن عتيق الهاملي - فناة العرب -صالح بن عزيز المنصوري، فالمدلولات التي ينسجها المتلقي عبر آلياته المتنوعة هي في الأصل تنبثق من العنوان الرئيسي والتي تشير إلى أن الكتاب عبارة عن دراسة نقدية تخص الجانب القول في الشعر النبطي الإماراتي، ويكتمل المعنى وتتحدد فترته الزمانية بالعنوان الفرعي والذي ضبط من خلاله الباحث الفترة المعنية بالدراسة والتي يجسدها أربعة من الشعراء الذين انتقاهم الشاعر بمهدف الدراسة.

ثالثا المقدمة: تعد ثاني عتبة بعد العنوان يمكن أن تحيل قارئ النقد إلى المعرفة التي يحتويها النص المدروس فهي ذات فاعلية لعملية القراءة " للاعتبار التصديري والافتتاحي الذي تملكه، والذي يمنحها سلطة القراءة"، ولأنها تنضبط باستيفائها لقواعد منهجية لا بد منها وهي طرح إشكالية معرفية للموضوع النقدي المعالج وذكر الهدف المرجو من هذه الدراسة، وأسباب اختيار الموضوع والدراسات السابقة والمنهج المتبع، كما يشترط في المقدمة أن تنأى عن الإطناب والخطابية والإنشاء لتبرز بشكل علمي هادف ومقنع وجاد وهذا ما لمسناه جليا في مقدمة الكتاب قيد الدراسة حيث اكتفى الباحث يحياوي

بتقديمه لكتابه بنفسه مستهلا إياها بسؤال مركزي حول ضرورة دراسة الشعر النبطي مع مراعاة فترة تكونه ، كما وضع منهج الدراسة حيث أكد بأنه لن يطبق منهجا حدثا على دواوين الشعراء المذكورين ولكنه سيكتفي بدراسة وصفية تعينه فيها خبرته وتجربته الثقافية والشعرية.

كما هدف من خلال دراسته هذه إلى الوقوف على شيوع ظاهرة التكرار القولي لدى الشعراء الأربعة وذلك من خلال نقاط ثلاث : مطالع القصائد، الظواهر اللفظية، وصف المحبوبة (الصفات الحسية).

رابعا مؤلفات الكاتب: تعتبر هذه الصفحة والتي جاءت على واجهة الغلاف الخلفي من بين أبرز العتبات التي تسيج بها بعض النصوص وتكمن أهميتها في كونها تمثل كاتالوق شخصية للمؤلف ، وتكشف من ثمة عن قيمته الأدبية ورصيده الإبداعي في مجال الكتابة والتأليف.

وإذا كانت العادة قد جرت بأن تعر بين يدي القارئ كل مؤلفات الكاتب المنشورة أو التي هي قيد النشر، فإنها تتخذ صيغا أخرى أيضا حيث يكتفي الناشر بعبر الكتب التي أصدرها دون إشارة إلى الكتب الأخرى للمؤلف المنشورة في دور نشر مغايرة ، وقد تكتفي بالإشارة إلى كتب له قيد الطبع أو النشر كما أنها يمكن أن تغيب كليا فلا يذكرها الناشر، وتتخذ في حضورها مواقع مختلفة ، إذ نجد لها في آخر النص بعد الفهرس مباشرة ، أو في الصفحة الأخيرة قبل الغلاف، أو في صفحة الغلاف الأخيرة ، أو في حاشية الغلاف.

وبالنسبة لهذه الدراسة فقد جاءت هذه العتبة في صفحة الغلاف الأخيرة بلون بني داكن هو ذات اللون الذي جاء في الغلاف الأمامي يعلوه صورة فوتوغرافية لعياش يحياوي متوشحا عمامة إماراتية ، تلاها مباشرة ترجمة بسيطة للشاعر في سطرين ختمت ببريده الإلكتروني .

أما أسفل منها فقد وردت مؤلفات الكاتب مقسمة إلى جزئين: أولها ما تعلق بإصدارات حول الإمارات وهي ثمانية مؤلفات ثلاثة منها حازت على جائزة أحسن كتاب حول الإمارات في مسابقة معر الشارقة الدولي للكتاب لسنوات 2004، 2006، 2007، على التوالي.

أما ثانيها فهي قائمة إصدارات أخرى للمؤلف متنوعة بين سيرة ذاتية وقصة وشعر والتي تراوح عددها ثمانية، ولا شك أن هذه العتبة تروم تأدية وظيفتين : أحدها التعريف بالأعمال السابقة للكاتب إذ

توحي بأنها تتوزع بين الدراسات الأدبية والنقدية والأعمال الإبداعية وحتى الصحفية، والأخرى دفع القارئ إلى إقتناء أعماله الأخرى .

خامسا المصادر والمراجع: هي عتبة تتبع الأعمال النقدية دون الأدبية وتعد هذه العتبة من أولى ما يطلع عليه القارئ في الكتاب رغم تموضعها في نهايته ولها ما لها من دلالات نقدية مكثفة، فاسم المؤلف يشير إلى مدى وعي الباحث في اختيار الكتب التي استفاد منها في دراسته.

والملاحظ على الكتاب المعني بالدراسة خلوه من هذه العتبة حيث تم إسقاطها إما سهواً أو قصداً مكتفياً بقائمة الكتب التي شغلها الهامش .

ختاماً : أردت من خلال هذه المداخلة لفت الأنظار إلى ضرورة العناية بعتبات النص النقدي وهو ما يدخل تحت باب نقد النقد لما لها من أهمية .

ثم إن كتاب عياش يحياوي دراسة نقدية جادة بحاجة إلى الاهتمام والتدارس فهي لا تزال بكرا حيث لم أجد حسب اطلاعي على أي مقارنة خصصت لهذا الكتاب بالذات إلى حد الآن.